# الـــفـصـــل الـــثـــانـى

# عـلـم الـتـاريـخ

## الأصـــل ـ النـشـــأة ـ التـطـــور

بدايات التدوين

تطور التدوين

محاولات القدماء فى تسجيل الأحداث

دور العرب فى التدوين

علم التاريخ عند المسلمين

التاريخ الهجرى

obeikandl.com

obeikandl.com

# الفصل الثانى
# علم التاريخ
# الأصل ـ النشأة ـ التطور

## بدايات التدوين

تعود نشأة التدوين إلي العصور التاريخية الأولي حيث استطاع الانسان القديم أن يقيم أسس الحضارة الإنسانية ويرسي قواعدها ليرفع عليها بنيانا شامخاً يعكس أعمال الفكر الإنساني ونتاجه مادياً ومعنوياً.

وتدل الدراسات الأثرية علي أن الإنسان القديم ومنذ مراحل حياته البدائية حاول أن يسجل بعض ما كان يدور بذهنه وإن لم يكن مفهوماً، إلا أن ذلك يعد محاولات للتعبير تطورت علي فترات متتالية لتكون في النهاية بدايات لأبجدية مكتوبة كما حدث في اللغة المصرية القديمة واللغة السومرية واللغة الفينيقية

ولم تكن محاولات الإنسان القديم في سبيل الوصول إلي وسيلة للتعبير عن نفسه وعن أفكارة مما يستهين به الباحث الحديث، فلا شك أنه قد صحبها معاناة وتجارب تعد جزءً أساسيا من تاريخ الفكر البشري.

ومن المعروف تاريخياً أن هناك مراحل أساسية في تطور الإنسان وتطور حياته ثقافياً وحضارياً، وأن تلك المراحل تعتبر نقاط تحول جذرية في تاريخ الحضارة البشرية، فقد انتهي عصر جمع الطعام بالثورة الصناعية الأولي في حياة الإنسان القديم يوم تحول الإنسان من جامع طعام إلي صانع للطعام.

ومع نجاح تلك الثورة الصناعية التي تميزت باكتشاف الإنسان للنار تحددت مرحلة جديدة في الحياة علي الأرض ومن ثم في تاريخ الإنسانية. فقد ارتبطت تلك المرحلة ببداية الاستقرار الإنساني، ومع بداية استقرار الإنسان عرف الزراعة

وصحب هذا التطور الهام في تاريخ البشرية نشأة القرية والمدينة ومن ثم بدأ الإنسان يفكر في إقامة أنظمته السياسة والإدارية المختلفة.

استقرت البشرية بما يقدرة المؤرخون والأثريون مع بداية الألف الخامس قبل الميلاد وحتي يصل العلماء إلي هذه النتيجة، استغرق الإنسان عصوراً طويلة حتي استطاع أن يترك لعلماء التاريخ أدلة أثرية تؤكد استقراره واقامته لمجتمعات بشرية منظمة.

وإذا كان الألف الخامس قبل الميلاد يحدد بداية قيام المجتمعات المستقرة، فإن مراحل طويلة من العمل عاشها الإنسان حتي يصل في نظر المؤرخين إلي نقلة حضارية جديدة وهي بداية التدوين.

وتنقسم المدارس التاريخية حول هذه القضية قسمين رئيسيين، القسم الأول يقول بالاصطلاح المعروف بالتقويم الطويل Long Chronology وهو الذي يحدد عام ٣٢٠٠ ق.م بداية حقيقية للتدوين أي معرفة الإنسان للكتابة. أما القسم الثاني فينادي بما اصطلح عليه بالتقويم القصير Short Chronology حيث يحدد عام ٣٠٠٠ ق.م بداية لتلك النقلة الحضارية الكبري في تاريخ البشرية وهي معرفة الإنسان للكتابة وبداية التدوين.

ومن ناحية أخري تختلف الأراء حول المكان الذي بدأ فيه التدوين، فهناك فريق من العلماء يرى أن بداية التدوين كانت في مصر القديمة وعلي أيدي المصريين القدماء، بينما يري الفريق الآخر أن بداية التدوين إنما بدأت في العراق القديم وعلي أيدي السومريين، كما ظهرت مدرسة ثالثة تقول بأن البداية في كل من مصر وبلاد الرافدين قد تزامنت وأن التدوين قد بدأ في وقت واحد تقريباً في كلا البلدين، اعتماداً علي النظرية القائلة بأن البيئات المتشابهة تنتج حضارات متشابهة.

ومهما يكن من أمر فإن التدوين قد بدأ في الشرق الأدني القديم وأن الريادة لهذا الإنجاز الحضاري يعود لشعوب هذه المنطقة التي خصها الله سبحانه وتعالي باستقبال أنبيائة لتبليغ رسالته فيهم وعلي أرضهم.

اهتم العلماء القدامي والمحدثون بهـذا الإنجاز الحضاري العظيم وهو التوصل إل التدوين وظهور الكتـابة سواء في مصر أو في العراق، إذ تحـددت بظهورالكتابة ومعرفة الإنسان لها مرحلة أساسية هامة في التاريخ البشري.

وقد سبق الوصول إلي الكتابة عن طـريق الحروف الأبجدية مراحل هامه في التاريخ البـشري. عرفها المؤرخـون والأثريون باصطلاح عصر ما قـبل الكتابةPre) Literate) وعصر ما قبيل الكتابة .(Proto Literate). وهذان الاصطلاحان يرادفان مرحلتي ما قبل وما قبيل التاريخ .PreHistory, proto History

ومن الجدير التأكيـد علي أنه إذا اعتبرنا توصل الإنسان إلي عصـر الاستقرار وإنتاج الطعام ثـورة حضارية فإن توصل الإنسان إلي الكتـابة يعتبر تحـولاً حضاريًا خطيراً بل لعله من أهم الإنجازات الحضارية التي شهدها العام القديم بأسره.

وارتبطت نشـأة الكتابـة وظهور التـدوين بظهـور الأديان فقـد تزامن بحث الإنسان عن وسيلة تعبيرية، بحثه عن القدرة العظيمة وراء خلقه ووراء خلق الكون نجا فيه من عناصر مختلفة، وكان هذا البحث يتضمن بحثه عن أصله وذاته، إضافة إلي بحثه عن أمان لعقله وطمأنينة لإدراكه.

ولهذا فإن بدايات الفكر الدينـي كانت محاولات منه لتأكيـد ذاته، وحرصاً علي الحصـول علي الأمان من قوة خفـية لم يستطع في تلك العـصور الأولي من حياته علي الأرض التوصل إلي ماهيتها وكنهها.

ولعنا نتـساءل الآن، ماذا كانت الكلمات الأولي أو العبارات الأولي أو حتي الخربشات الأولي التي وصلت إلينا علي أنها أول ما دون الإنسان القديم؟

يقول Prof. Emry في كتابه Archaic Egypt: إن أول الكلمات التي كتـبها الإنسان القديم كانت كلمة إله أو الله. وهو ما وجد في النقوش التي عثرعليها

علي بعض الصخور في الصحراء الغربية بمصر.(١)

وهذا يؤكد أن الإنسان القديم كان دائم البحث عن حقيقة وجوده، وحقيقة خلقه، وأنه لم يوجد من عدم، لكن إرادة اللهومشيئته هي التي أوجدته وخلقته فاحسنت خلقة وتصويره، كما نستطيع أن ندفع بهذا الراي إلي أبعد من ذلك فنقول: إن الإنسان القديم قد آمن بوجود الله وأن التطور والطغيان وحب الملكية كل تلك العوامل هي التي مسخت الفطرة وأظهرت الأديان الوضعية التي عرفها العالم القديم.

علي أية حال كانت الكتابة ومعرفتها بداية لظهور التدوين حيث يمكننا أن نقول إن نشأة التاريخ تعود إلي نشأة التدوين وترتبط به حيث بدأ الإنسان يسجل أسفارا لحياته علي الأرض.

وكان لظهور اللغة المصرية القديمة أهمية كبري في تدوين أحداث الحياة في مصر القديمة، كما استخدمت في نفس الوقت السومرية في تسجيل تفاصيل التاريخ في بلاد الرافدين.

ومن جهة ثالثة كان للغات الأخري التي ظهرت فيما بعد في الشرق الأدني القديم دورها الأساسي في كتابة تاريخ الحضارة الإنسانية التي كان مهدها بلاد الشرق الأدني القديم. وكان لشعوب هذه المنطقة الدور السابق في تدوين تاريخ الحياة البشرية بجوانبها المختلفة منذ أقدم العصور.

لذلك لا نكون مبالغين إذا استنتجنا أن نشأة التاريخ ولو بشكل بدائي تعود إلي بداية التدوين أي إلي الألف الرابع قبل الميلاد.

ومما لا شك فيه أن تجارب إنسانية عديدة قد مرت بها فكرة الكتابة حتي بدأ الحس التاريخي في الظهور وصاحب ذلك اهتمام الانسان بضرورة كتابة أحداث حياته اليومية.

وحين تكونت الدولة بدأ معها الشعور بالحاجة إلي تسجيل الأحداث خاصة

(1) Emery . D, Archaic Egypt. p. 17

ما يتعلق منهاباأخبار الملوك وحروبهم وانتصاراتهم.

والدارس لتاريخ مصر القديم يستطيع أن يتلمس المراحل التي مرت بها الكتابة التاريخية، ولعل لوحة نارمر أو نعرمر أول ملوك مصر في العصر الثيني تعد سجلاً أساسيا يعتبرة الباحثون بداية حقيقية لتدوين التاريخ كما أنها تحمل إثباتاً لبداية الدولة في مصر. (١)

## تطور التدوين:

هناك مصادر أساسية يعتمد عليها الدارسون للتاريخ يحددون فيها المراحل التي تطورت من خلالها عملية التقويم والكتابة ومعرفة الزمن.

فمن المعروف أن الشعوب القديمة كانت تسجل الأحداث وتدونها حسب وقوعها مقرونة بحدث ما، كما ميزوا سنوات حكم ملوكهم أو حكامهم بحدث أو ظاهرة معينة.

فالمصري القديم استطاع أن يسجل أحداثاً هامة في تاريخه ابتداء من العصر الثيني، واستخدموا تعداد الماشية الذي كان يتم في مصر كل عامين دليلا يحددون به سنوات حكم الملك الحاكم (٢) وظلت هذه الطريقة معمول بها حتي استعاضوا عنها ببداية جلوس كل ملك علي العرش ومنها يحسبون السنوات التي يقضيها في حكم البلاد.

كما استطاع المصري القديم أن يرصد الظواهر الطبيعية ويربط بها الأحداث الهامة في حياته كفيضان النيل فقد راقب أن ظهور نجم الشعري اليمانية بداية فيضان النيل ولهذا جعل دورة النجم هي دورة السنة الزراعية التي قسمها إلي ثلاثة

---

(١) انظر: دكتور نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدني القديم، جـ١، ص ٤٥.

(٢) دكتور أبو الحسن المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدني القديم. دار النهضة العربية، بيروت الطبعة الرابعة، ١٩٨٤م

أقسام أو فصول هي فصل الفيضان وفصل الزرع وفصل الحصاد. كما قسم كل فصل من تلك الفصول إلي أربعة شهور وبذلك يكون مجموع أشهر السنة اثني عشر شهراً.

ورصد المصري أيضاً أن دورة نجم الشعري اليمانية أقصر من السنة الشمسية بمقدار ربع يوم ويتفق المؤرخون علي أن توصل المصريين القدماء إلي رصد هذه الظاهرة الطبيعية الهامة كان في عام ٤٢٤٠ ق.م.

وهذا يجعل علماء الآثار يرجحون أن البداية الحقيقية للعصر التاريخي تكون في ذلك العام ٤٢٤٠ ق.م. أي قبل بداية التدوين في ٣٠٠٠ ق. م.(١)

ومن ناحية أخري فقد رأي المؤرخ المصري مانيتو السمنودي الأصل والذي عاش في عهد الملك بطليموس الثاني تصحيح كتابة تاريخ مصر، فألف كتابا في ثلاثة أجزاء باليونانية بعنوان اجبتياكا ايبومنيماتا، وربما يعزي ذلك إلي تكليف من الملك، وعلي الرغم من أن المؤلف الأصلي لم يصل إلينا فقد اهتم به جوزيف اليهودي الذي أنقذ جزءاً هاماً من كتاب مانيتو ومن بعده يوليوس الأفريقي ٢٧١م وتبعه يوسيديوس الذي كان أسقفاً بقيصرية. وقد قسم مانيتو الأسرات المصرية إلي ثلاثين أسرة وقدم ملخصاً عن بعض العهود من تاريخ مصر.(١)

ويري بعض المؤرخين تقسيم تاريخ مصر القديم إلي فترات ارتبطت بقوة الدولة وضعفها وفترات إزدهار الحضارة فيها أو اضمحلالها.

ففي عام ٣٢٠٠ ق.م بدأت الدولة المستقرة الموحدة الأولي في مصر وهذا ما يعرفه المؤرخون بالعصر الثيني وبداية من عام ٣١٠٠:٢١٨١ ق.م يعرف بعصر الدولة القديمة أو عصر بناة الأهرام، وهناك من يدخل في هذه المرحلة التاريخية المرحلة السابقة عليها لتشمل بذلك الأسرات من الأولي إلي السادسة.

واعتباراً من ٢١٨١: ٢١٣٤ ق.م يبدأ عصر الانتقال الأول، أو عصر الفوضي والاضمحلال الأول وفي هذه المرحلة حكمت مصر الأسرات السابعة

(٢) انظر نجيب ميخائيل ـ مصر والشرق الأدني القديم ـ ج ١، ص ٤٠.

والثامنة والتاسعة والعاشرة.

أما عصر الدولة الوسطي فيبدأ من٢١٣٤: ١٧٨٦ ق.م وفيه قام علي حكم مصر ملوك الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة.

وشهدت مصر عصراً ثانياً من الفوضي والاضمحلال أو ما يصطلح المؤرخون علي تسميته بعصر الانتقال الثاني وفيه دخل الهكسوس مصر، ويشتمل علي الأسرات من الثالثة عشر وحتي السابعة عشر ويمتد من عام ١٧٨٦: ١٥٨٠ ق.م.

ثم يعقب ذلك صحوة حضارية في تاريخ في مصر حيث تقوم الإمبراطورية المصرية أو الدولة الحديثة حيث حكمت الأسرات الثامنة عشر والتاسعة عشر والعشرون وذلك بدءا من١٥٨٠: ١٠٨٧ ق.م.

ثم يأتي في تاريخ مصر ما يسمي بالعصر المتأخر وفيه تتوالي الأحداث فتحكم أسر ضعيفة لم تستطع أن تعيد للدوله التي صنعت الإنجازات الحضارية سابق عظمتها وقوتها.

وتوالي علي حكم مصر في تلك الفترة الليبيون والنوبيون والكهنة، ودخل الفرس مصر ومن بعدهم اليونان، وهذه الفترة تمتد علي مدي الأسرات من الواحدة والعشرين وحتي الأسرة الثلاثين.

حاول العلماء والمؤرخون والأثريون أن يصلوا إلي حقيقة تطور التدوين، وحقيقة تطور الفكر الإنساني فيما يتعلق بتسجيل أحداث حياته في مجالاتها المختلفة، فقدم الباحثون لذلك نتائج جهودهم وتجاربهم التي تهدف إلي التوصل إلي كيفية بناء الإنسان لحضارته علي هذه الأرض.

واستطاع Lebby صاحب نظرية carbon14 أن يصل إلي تحديد البداية للاستقرار وذلك بحساب عمر المواد المتكربنة التي تم العثور عليها من قبل الأثريين وبهذا أمكن تحديد الزمن الذي أنتج فيه الإنسان القمح ومعرفته للزراعة وما صاحب ذلك من ظهور المجتمعات المستقرة وما تطلبه ذلك من خدمات وأدوات.

ورأي عالم الآثار الإنجليزي بيتري أن يستخدم ما أسماه بالتقويم المتتابع Sequence dating ليحدد تطور الحضارة المصرية القديمة.

وتوصل المؤرخ الإنجليزي Toynbee إلي نظريته الشهيرة التحدي والاستجابة التي يمكن تطبيقها علي كل الظواهر التاريخية، ورسخت نظرية **Challenge&Response** بحيث تمكن الباحثون من تفسير الأحداث طبقا لها. (١)

ولم تقتصر الجهود البشرية لتطور تدوينها التاريخي علي مصر والمصريين القدماء بل اشتركت شعوب أخري في بناء السجل البشري لتدوين تاريخ الإنسان

## محاولات القدماء فى تسجيل الأحداث:

إن التاريخ ليس مجرد سرد للأحداث الهامة أو غير الهامة كما أنه ليس مجرد تسجيل لظواهر طبيعية أواجتماعية أو سياسية أو اقتصادية إنما هو نتاج العقول البشرية والدليل علي وجودها فهو عصارة وجدانها.

ومن أعظم ما يدل علي عمق الفكر عند الإنسان القديم وبصفة خاصة في مصر القديمة حرصه الدائم علي البحث عن الحقيقة الأولي في حياة الإنسان الاوهي الموت.

إن الميلاد ميلاد أي شئ أسهل في الاستيعاب والاقتناع من الموت، وعلي الرغم من أن الانسان منذ بدء الخليقة وحتي يأتيه اليقين سيظل حائراً مكتوف الأيدي أمام هذه الحقيقة الكبري ذلك أن الموت من الحقائق التي سلمت بها البشرية ولم تحاول بل لم تستطع أن تتجاوزها.

والتاريخ هو العمر العقلي للإنسان ممثلاً في الحياة البشرية بكافة جوانبها وموضحا إنجازات الإنسان وتطوره ومكتسباته عبر المراحل المختلفة.

وعلي أية حال فقد حفظت لنا الآثار التي خلفها الإنسان نقوشاً عبر فيها عن

---

(1) Toynbee , A study of History. vol. I.pp.271 ~ 275

جوانب حياته المختلفة فسجل احتفالاته وأعياده، كما سجل انتصارات ملوكه وهزائم جيوشهم، ودون انطباعاته وانفعالاته، وترك للباحثين أعماله الأدبية والعلمية، ومعاناته، وما حل به من كوارث طبيعية أو هجمات بشرية.

لقد سجل المصريون أخبار حياتهم، وإن لم تكن بالأهمية التي سجلوا بها نظرياتهم حول البعث والخلود، كما سجل السومريون والبابليون نظرياتهم حول عباداتهم، وأحوالهم، ونظمهم وقوانينهم.

وكل هذا في الحقيقة يوضح المراحل التي تطور فيها التدوين، وهنا يجب علي المؤرخ أن يوضح للدارسين ضرورة الوقوف علي النص الذي يخدم بحثه، أو النقش التي يدعم رأية خاصة وأن كثيراً من المدونات القديمة تختلط فيها الحقيقة مع الأسطورة.

والأسطورة في الواقع، وإن داخلها كثير من الخيال إلا أنها تلقي الضوء علي ملامح العصر الذي سجلت فيه، والأفكار التي كانت متداولة بين العامة وغيرهم، وهي مصدر خصب للباحث الذي يود البحث عن أحوال المجتمع في فترة من فترات التاريخ.

هذا بالإضافة إلي أن للفكر القديم، وما حفظته النقوش القديمة يقدمان عدداً كبيراً من الأساطير التي يمكن للباحثين أن يستنبطوا منها كثيراً من الوقائع الهامة لحياة الإنسان.

ولم يختلف في ذلك الإنسان في العراق عن أخيه في مصر، أو الصين أو الهند، كما لم يختلف الإنسان في ذلك في العصور المختلفة.

فالملاحم والأساطير كثيرة تعكس أنماطاً من السلوك والفكر البشريين عن مختلف الشعوب، وتقدم لنا مرحلة من مراحل تطور التدوين من حيث الفكر الإنساني والنظرة العقلية أو العاطفية للأمور.

ويمكن للدارسين من خلال معايشتهم لأبعاد الأسطورة أو الملحمة دراسة تفصيلاتهما وتحليل المغزي الذي تحملة سطورها حتي يمكن أن يتوصلوا إلي تصور

للمشكلات التي عايشتها المجتمعات البشرية القديمة وموقف العقل منها وكيفية معالجتها.

وتحفظ لنا السجلات اليونانية والرومانية، سواء كانت منقوشة علي الحجر أو اللوحات، أو علي البردي أو الواح الطين كثيراً من الملاحم الكبري التي تصور المعارك العسكرية التي خاضتها تلك الشعوب

إلا أن هناك ملاحم من أنواع أخري مثل ملاحم البحث عن الخلود، وتتبع الحقيقة كما في ملحمتي جلجامش، وإيزيس وأزوريس. وهاتان الملحمتان تصوران واقعين مختلفين للمعاناة سجلها لنا الكاتب القديم،الأولي تصور معاناة فردية، والثانية تصور معاناة أسرة وربما ترمز الأسرة ومعاناتها إلي معاناة شعب بأكمله.

ومن العصر اليوناني سجل هوميروس في ملحمتيه الإلياذه والأوديسا أشكالاً من المعاناة في الحروب التي خاضها اليونانيون. مما يقدم درسا سجلته ذاكرة التاريخ ليتعلم من الأحداث من يأتى من بعدهم من الشعوب.

وعلي أية حال فإن الأساطير والملاحم القديمة تشكل جزء هاماً من الأدب الشعبي الذي حفظته لنا النقوش والكتب القديمة ومن ثم تشكل مرحلة هامة من مراحل التدوين.

وللأقدمين الفضل الكبير في تسجيل أحداث حياتهم علي جدران معابدهم وقبورهم ومسلاتهم، فلولا ذلك لضاع ذلك السجل الحافل في غياهب النسيان.

ولم يكف العلماء المحدثون عن البحث عن أسرار ما سجله ودونه الأقدمون ليقفوا علي أسرار حياتهم وكنه معتقداتهم، وعلاقتهم بغيرهم في داخل مجتماعتهم وخارجها وحياتهم العمليه اليومية.

وهذا كله وجده علماء الآثار واللغة والتاريخ مدونا بدقة وعناية كما تركه الإنسان القديم ليكون بين أيدينا لنتابع المسيرة من أجل تقدم ورخاء البشرية.

ولم يقتصر ما تركة الإنسان مسجلاً علي ما أشير إليه آنفا بل تضمن

مخترعاتهم وفنونهم وعلومهم، وطرائق صناعاتهم، وزراعتهم وأسفارهم وألعابهم ووسائل تسليتهم وأدوات زينتهم وأسلحتهم إلي آخر ما تحفل به الآن الكتب والأرشيفات والمتاحف حيث تقدم معيناً خصباً أمام الباحث عن أصل ومعني وتطور التاريخ.

وتحفظ لنا البرديات القديمة ما دونه أو بالاحرى بعضاً مما دونه الإنسان القديم، ففي مصر القديمة نجد نصائح الحكماء، وقصص الرحلات والقصص الاجتماعية، وأدب الثورة، فنصائح الحكيم إيب ور توضح لنا حرص الإنسان القديم علي الفضيلة، والبحار المصري سنوهي يروي لنا قصة رحلته إلي بيلوس، والفلاح الفصيح يرفض الواقع غير الأمن الذي شهدته البلاد في عصر الفوضي والانتقال الأول إلي غير ذلك مما تحفل به المدونات القديمة من فصول متنوعة من حياة الإنسان القديم.

وسجلت أيدي الفنان القديم صفحات من تاريخ الدولة القديمة علي جدران معابد الدير البحري في صعيد مصر، حيث يوضح العلاقات الخارجية بين مصر وبلاد بونت.

ويصور رعمسيس الثاني علي جدران معابده انتصارات جيشه علي الحيثيين في معركة قادش، كما تحفظ لنا النقوش نصوص المعاهدة التي عقدها مع ملك الحيثيين والتي تعد من أولي المعاهدات الدولية المحفوظة حتي الآن.

وفي العراق القديم حفظت لنا ألواحهم نماذج من انجازاتهم الحضارية الرائعة، فقانون حمورابي الذي وجد منقوشاً علي لوح طيني يقدم خلاصة تجارب شعب العراق في التشريعات والقوانين وذلك من حسن حظ المؤرخ والباحث في بداية تطور الفكر البشري.

ولا يمكن أن نغفل القيمة التاريخية لمثل تلك النصوص القديمة التي تمثل جوانب أساسية في حضارة شعوب الشرق الأدني القديم فالدارس لنصوص قانون حمورابي ملك بابل يستطيع أن يتلمس فيها تأثيرات ما بلغه الأنبياء السابقون في

العراق القديم، فابراهيم عليه السلام نشأ في أور وسافر إلي حران ثم إلي فلسطين في فترة تعاصر حكم حمورابي أو قبلها مما نعرفه عن الأداب والشرائع التي كان يعلمها إبراهيم قومه، فالعين بالعين والسن بالسن نجدها واضحة تماما في نصوص قانون حمورابي.

وقوانين حمورابي علي كل حال هي نتاج تجارب متصلة ومحاولات سابقة من ملوك العراق القديم لوضع أسس لتشريعات يحكمون بمقتضاها تلك الشعوب ومن هؤلاء الملوك تجلات بلاسر وشبليوليما.(١) ويمكن أن نؤكد ما لتلك التشريعات من تأثيرات علي ما ظهر فيما بعد من قوانين هامة ميزت عصر حمورابي.

وعند الحديث عن أهم ما دونه الأقدمون لا بد ان نذكر ما حفظ لنا عن اخناتون الذي يناجي إلهاً واحداً خالق الكون وعالم الغيب الرازق الواهب الواحد الأحد، وهذا ما سجلته لنا نصوص تل العمارة وهذه النصوص توضح اتجاه الإنسان إلي عقيدة التوحيد، وترك الآلهة والوثنية التي ظهرت في العالم القديم.

وأناشيد إخناتون قد نالت شهره عظيمة باعتبارها من أجمل النصوص وأصدقها تعبيراً عن الجانب الروحي في حياة الإنسان.

وهي من جهة أخري تعكس ضمير الإنسان القديم ممثلاً في أحد ملوك مصر الذي حكم عقلة ورفض أن يعبد التماثيل أو الكواكب، بل راي توحيد الألوهية، وتوحيد العبودية لله الواحد رب العباد الذي لا شريك له ولا حاكم معه، خلق الكون وحده بارادته ومشيئته وقدرته، وخلق الإنسان وعملّه ما لم يكن يعلم.

كذلك لا يمكن أن نغفل أناشيد داود عليه السلام التي تعتبر نماذج معبره في شعر الزهد والندم علي ارتكاب المعصية وهناك من المؤرخين من يقارن بين اناشيد اخناتون وبين مزامير داود لشدة الشبهة بينهما في الفكر والمضمون .

لكننا يجب أن نفرق بين داود باعتباره نبيا من أنبياء الله وبين إخناتون ملك مصر القديمة، أما داود فقد أتاه الله بسطة في العلم وأنزل عليه الزابور، وعلمه

---

(١) رشيد الناضوري : التطور التاريخي للفكر الديني ،الكتاب الثالث . المدخل ص.ص ١٠٤، ١٠٥.

علما لا ينبغي لأحد من بعده، أما اخناتون فقد فكر وتأمل واجتهد وما حفظ عنه نتيجة لذلك، وربما كان نتيجة لجهد رجال الدين والكهنوت في دولته، إلا أنه اقتنع بها فنسبت كلها إليه.

ولا يجب أن نغفل في هذا المقام ما ورثته الشعوب السابقة في هذه المنطقة من الأصول الدينية التي جاء بها الأنبياء الأولون وما وصل إليها ظهر واضحاً في الإنتاج الفكري لتلك الشعوب.

وأسهم اليونانيون بدورهم في تسجيل أحداث تاريخهم سواء ما كان أحداثا أسطورية أو أحداثا حقيقية تمثلت في حروبهم وترحالهم وبحثهم عن حياة أفضل.

إن ما تركة المفكرون اليونانيون القدماء أمثال أفلاطون وأرسطو وسقراط يعتبر علامات بارزة في تاريخ الفكر الإنساني، وفي التاريخ البشري للأمم السابقة وبصفة خاصة في الشرق الأدني القديم، فقد أطلعوا خلال رحلاتهم علي الفكر المصري القديم والتجارب الخصبة التي عاشتها مصر القديمة إضافة إلي فكر سورية القديمة والعراق القديم مما ظهر واضحا فيما تركوه لنا من نتاج فكري وعقلي متميز.

كذلك أسهم المفكرون الرومان في تسجيل التطور الفكري للعقلية الإنسانية فيما قدموه من قوانين وتشريعات كان لها مكانها المرموق بين النتاج الفكري العالمي.

وعلي أية حال فإن العقل البشري لم يفتأ يطور ذاته، ويتطلع إلي الأفضل والأكثر اتقانا تاركاً للأجيال التالية تراثاً حضاريا ضخما يحارالإنسان في جنباته، ويشق علي الباحثين سبر غوره لكثرته وتنوعه وعمقه وصعوبته مما يزيد من المسئولية الملقاة علي عاتق المؤرخين المحدثين علي اختلاف تخصصاتهم وميولهم ومشاربهم ومعتقداتهم وانتماءاتهم.

ولا تعني هذه المقولة أن ما أسهم به المؤرخون المحدثون في دراسة ذلك التراث والتعريف به والكشف عنه قليل، فإن الجهود المبذولة في هذا المجال جهود

جبارة ولولاها لما كان أمام الباحثين الآن ما أمامهم من مادة علمة وفيرة، ومصادر محققة منشورة أو غير منشورة دون تحقيق، وكلها في واقع الأمر لها قيمتها باعتبارها زاداً يغني الباحثين والدارسين لإشباع حاجتهم في البحث عما يريدون.

## دور العرب في التدوين:

ارتبط دور العرب في التدوين بقيام الدولة الإسلامية في المدينة، ومع ذلك فلا نستطيع أن نغفل الدور الذي قام به الإنسان في شبه الجزيرة العربية في محاولاته للتدوين إلا أنها كانت في معظمها بدائية ولم تصل إلي المستوي الذي وصلت إليه جهود المسلمين في التدوين.

ونستطيع أن نقرر أن دور العرب الحقيقي في التدوين يبدأ بتدوين القرآن الكريم ذلك أن عملية جمع القرآن الكريم كانت من العلامات المميزة للعرب والمسلمين علي طريق التدوين، بل للمؤرخ أن يقر أن هذه العملية كانت أهم وأخطر خطوة قام المسلمون بها ليقف دليلاً علي بداية التدوين عندهم علي الإطلاق .(١)

تنزل القرآن الكريم علي محمد بن عبد الله ﷺ، وكان حفظة القرآن يحفظونه عن ظهر قلب، وكان كتاب الوحي يسجلون ما يتلي عليهم علي ما وجدوه من الحجارة والرقاع وسعف النخيل وغير ذلك.

ولما انتقل رسول الله ﷺ إلي الرفيق الأعلي أمر الصديق رضي الله عنه أن تجمع الرقاع والأحجار والجلود التي سجل عليها القرآن الكريم وذلك بناء علي ما رآه الفاروق رضي الله عنه.

---

(١) انظر مصطفي الشكعة : مناهج التأليف عند العرب، ص ٣٨.

وتروي المصادر أنه حين استحر القتل بقراء القرآن في يوم اليمامة جاء الفاروق رضي الله عنه إلي أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال: إني أري أن تجمع القرآن .(١)

وعلي الرغم من تردد الصديق رضي الله عنه في ذلك علي أساس أن رسول الله ﷺ لم يفعل هذا إلا أن عمر حسن ذلك للصديق رضي الله عنهما وشرح الله صدر الصديق لهذا العمل العظيم.

وطفق كتاب الوحي يجمعون القرآن الكريم من العسب واللخاف وصدور الرجال حتي استطاعوا جمعه.

وكانت الصحف عند الصديق رضي الله عنه حتي توفاه الله، واحتفظ بها عمر الفاروق رضي الله عنه ثم حفظتها حفصة بنت عمر حتي أيام عثمان بن عفان رضي الله عنهما.

وقدم علي ذي النورين رضي الله عنه حذيفة بن اليمان وكان مع المجاهدين في الشام والعراق، وحدث خليفة المسلمين عن اختلاف الناس في قراءة القرآن الكريم.

وتروي لنا المصادر أن حذيفة قال لعثمان رضي الله عنهما: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصاري فأسرع خليفة المسلمين رضي الله عنه بأن أرسل الي حفصة بنت عمر: أن ارسلي إلينا بالصحف تنسخها في المصاحف، وأرسلت حفصة بها إلي عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف.(٢)

وتبع تدوين القرآن الكريم في المصاحف أن فكر المسلمون في تدوين الحديث، وقد أدرك المسلمون أهمية ذلك خاصة بعد أن تم لهم الاطمئنان علي

---

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٧٧

قارن: فتحية النبراوي: الخلفاء الراشدون ص ص ٢١٢ - ٢١٣

(٢) ابن العربي: العواصم من القواصم ص ص ٦٦، ٦٩

كتاب الله فطفقوا يوجهون اهتمامهم إلي حديث رسول الله ﷺ .

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص من أكثر الرجال اهتماماً بأحاديث رسول الله ﷺ ، بل أصدق الناس رواية لها.

لقد راودت فكرة تدوين الحديث الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله ووافقه علي ذلك بعض الصحابة رسول الله ﷺ لكن هذه الفكرة لم تر النور لأن الفاروق عمر رضي الله عنه تردد في ذلك.

كما أن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز كتب إلي الأمصار لجمع أحاديث رسول الله ﷺ لكن هذا لم يتم أيضا.

وظل رواة الحديث يروونه كما أوصي بذلك رسول الله ﷺ حتي العصر الأموي حيث بدأت الأهواء عند ضعاف النفوس في وضع أحاديث ونسبتها إلي رسول الله ﷺ. وكان تأخر جمع الحديث يقوم علي أن رسول الله ﷺ قد نهي عن كتابة أي شي أو تسجيله سوي القرآن الكريم.

ورأي المسلمون أنه من الضروري جمع الأحاديث النبوية الشريفة خشية عليها من التحريف أو الضياع أو النسيان، فقام علي ذلك العمل الجليل الإمام مالك بن أنس حيث توفر علي جمعه في كتابه الموطأ وذلك في المدينة.

وعاصر الإمام مالك بن أنس عدد من علماء المسلمين ركزوا جهودهم علي جمع الأحاديث النبوية ففي مكه قام علي جمع الأحاديث النبوية عبد العزيز بن جريج وفي الشام عبد الرحمن الأوزاعى وفي العراق سفيان الثوري وحماد بن سلمة بن دينار . (١)

وبهذا يكون القرن الثاني للهجرة هو القرن الذي شهد اهتمام رجال الحديث بتدوينه وتسجيله وحفظه من الضياع، وما أن انتصف القرن الثالث الهجري حتي ظهر الامام أحمد بن حنبل الذي كرس جهوده ووهب حياته لجمع السنة النبوية المطهرة، واستطاع خلال عمله المضني أن يجمع في كتابة المسند ما تأكد من

(٢) كان الثوري في الكوفة، وحماد بن سلمة في البصرة.

صحته واتصال سنده إلي رسول الله ﷺ حتي بلغ عدد هذه الأحاديث ثلاثون ألف حديث صحيح انتقاها من بين سبعمائة وخمسين ألف حديث.

يقول السيوطي: قال الذهبي: في سنة ثلاث وأربعين شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير فصنف ابن جريج بمكة، ومالك بالمدينة والأوزاعي بالشام وابن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة، ومعمر باليمن، وسفيان الثوري بالكوفة، وصنف هشيم والليث وابن لهيعة ثم ابن المبارك وأبو سيف وابن وهب، وكثر تدوين العلم وتبويبه، ودونت كتب العربية، واللغة، والتاريخ وأيام الناس، وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف غير مرتبة. (١).

وتتواصل اهتمامات علماء المسلمين بالأحاديث النبوية فيطالعنا الإمام البخاري بكتابة الصحيح في الأحاديث النبوية الشريفة ذلك الكتاب الذي يعد عمدة في كتب الأحاديث الستة الصحاح، وقد روي عنه أنه قال: خرجت كتاب الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث في ستة عشر سنة وكتبت عن ألف وثمانين رجلا فليس فيهم إلا صاحب حديث كلهم يقول: الايمان قول وعمل. (٢)

وتبعه في هذا العمل الجليل محمد بن زيد بن ماجة، وأبو داود والترمذي والنسائي.

وقد مثل هذا العمل الذي قام به العلماء المسلمون جهداً عظيماً حفظ للأمة الإسلامية سنة رسولها ﷺ المصدر الثاني للتشريع.

ولا يفوت المؤرخ أن يوضح المنهج الذي اتبعه رجال الحديث في جمعه فقد عمل هؤلاء الرجال علي التثبت من صحة الحديث وتتبع سلسلة إسناده ثم صنفوها علي درجاتها ومراتبها وحسب قوتها وضعفها.

ولم يكن هذا العمل سهلاً بل كان شاقاً مضنياً اذ تطلب اثبات الحديث

---

(١) جلال الدين السيوطي - تاريخ الخلفاء - ص ٢٦١.

(٢) انظر صحيح البخاري. طبعة الشعب ٣ اجزاء. ولد الامام البخاري في ١٩٤ هـ وتوفي عام ٢٥٦ هـ

الواحد البحث عن أصله ومتنه حتي ولو أدي ذلك بهم إلي الترحال والبحث عنه في أي مكان.

وعرف عن العرب اهتمامهم برواية الأخبار ومعرفة الأنساب ورواية قصص البطولة وأنباء الحروب بواسطة الرواة والإخباريين مثل النضر بن الحارث بن ومخرمة ابن نوفل وعقيل بن أبي طالب.

ويعتبر عبيد بن شرية الجرهمي اليمني من أوائل الرجال الذين صنفوا كتاباً في التاريخ وذلك لملوك اليمن القدامي، وتحدثنا المصادر أن معاوية بن أبي سفيان استدعاه إلي بلاطه في بلاد الشام وكلفة بأن يصنف له كتاباً في تاريخ العرب أسماه كتاب الملوك وأخبار الماضيين. (١)

ومن أهم الرجال الذين اهتموا بكتابة التاريخ القديم وهب بن منبه اليمني الذي عاصر شرية الجرهمي حيث صنف كتاب التيجان وملوك حمير ذلك الكتاب الذي كان مصدراً أساسياً لكثير من المؤرخين المسلمين ومن بينهم محمد بن جرير الطبري. (٢)

كما أن إبان بن عثمان بن عفان كتب بالمدينة صحفاً عن سيرة رسول الله ﷺ وعليهما شرح فيها أعماله وجهاده وغزواته في سبيل الله.

وكان عروة بن الزبير بن العوام من الأوائل الذين كتبوا في سيرة رسول الله ﷺ اعتمد كل من ابن اسحق وابن هشام وابن سعد يقول الصفدي: وأول من صنف في المغازي عروة بن الزبير رضي الله عنهما. (٣)

واهتم عروة بن الزبير بن العوام بعصر النبوة والخلفاء الراشدين وكانت كتابته من المصادر الأساسية لمن جاء بعده من المؤرخين وعلي رأسهم محمد بن جرير الطبري.

---

(١) نشر الكتاب عام ١٣٤٧هـ في حيدر أباد الدكن بالهند.

(٢) انظر فتحية النبراوي. تاريخ النظم والحضارة الإسلامية. ص ٢٠١.

(٣) انظر الصفدي: الوافي بالوفيات. حـ١ ص ٧

ومن أهم الرجال الذين اعتنوا بكتابة السيرة النبوية الشريفة ابن شهاب الزهري الذي يعتبر مؤسساً للمدرسة التاريخية في المدينة.

شهد القرن الثاني الهجري اهتماماً ملحوظاً بكتابة السير والمغازي وكان موسي بن عقبة مولي الزبير بن العوام الذي وضع أساس هذا النموذج من الكتابة وتبعه في ذلك الواقدي وابن سعد وغيرهما. (١)

وبمثل ابن سحق بكتاباته عن السيرة النبوية الشريفة فترة النضج في الكتابة والتدوين التاريخي حيث وضع ابن اسحق كتابه الشهير في مغازي رسول الله ﷺ بناء علي طلب الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور.

ومن الجدير بالذكر أن الأصل الذي وضعه ابن اسحق لم يصل إلينا إلا عن طريق ابن هشام الذي هذب واختصر ماكتبه ليصبح بعد ذلك مشهوراً بين المؤرخين بسيرة ابن هشام.

وقد كانت مغازي ابن اسحق مصدراً أساسياً لكل من الواقدي صاحب الفتوح والأخبار، ومحمد بن جرير الطبري صاحب تاريخ الرسل والملوك ويستطيع المؤرخ تتبع فقرات كاملة من المغازي لابن اسحق عند كل من الواقدي والطبري، مما يؤكد اعتمادهما علي السيرة الاسحاقية مصدراً لتاريخيهما.

ويأتي من بعد ذلك الواقدي ليمثل فترة هامة في الكتابة التاريخية عند المسلمين ومن بعده ظهر تلميذه ابن سعد صاحب الطبقات الكبري ومن المعروف، أن ابن سعد قد تتلمذ بعد الواقدي علي عدد من الشيوخ أمثال سفيان بن عيينه وأبي الوليد الطيالسي ومحمد بن سعدان الضرير ووكيع بن الجراح القاضي وسليمان بن حرب وهشيم والفضل بن دكين والوليد بن مسلم ومعن بن عيسي وعشرات غيرهم من الرجال المشهود لهم بالصدق والعدالة في رواية الحديث النبوي. (٢)

---

(٣) قارن الصفدي : الوافي بالوفيات . حـ١ ص ٧

(١) ابن سعد : الطبقات الكبري جـ ١، ص ص ٦،٧

ومع انتقال الثقل السياسي إلي بغداد تحول المد الثقافي إليها حيث ازدهرت الكتابة التاريخية سواء في بغداد أو البصرة. وفي العصر العباسي يظهر شيخ المؤرخين المسلمين محمد بن جريرالطبري صاحب الموسوعة الكبري في التاريخ: تاريخ الرسل والملوك.

استطاع الطبري أن يحتل قمة الكتابة التاريخية في القرن الثالث الهجري وما بعده إلا أنه من الواجب أن نشير إلي المصادر التي اعتمد عليها محمد بن جرير والتي تتمثل فيما ترك السابقون من الرواة والأخباريين ورجال الحديث والنسابة وقد أخذ عن كل في فنه وتخصصه، فقد أخذ التفسير عن مجاهد وعكرمة وغيرهما ممن نقل عن ابن عباس، واعتمد علي ابان بن عثمان وعروة بن الزبير وشرحبيل وابن سعد وموسي به عقبة وابن اسحق في سيرة رسول الله ﷺ، أما أخبار عصر الخلفاء الراشدين فنقلها عن سيف بن عمر الأسدي، وأما أحداث الجمل وصفين فكان المدائني وأبو مخنف المصدرين الأساسين له واعتمد كتابات عوانه بن الحكم في أخباره عن الأمويين وأحمد بن أبي خيثمة عن العباسيين.

إن كتابات أبي مخنف لوط بن يحي بن سعد الأزدي من المصادر الأولي التي تظهر واضحة في كتابات الطبري ومصنفاته، ولعل الفضل يرجع إلي محمد ابن جرير في حفظ ما ألف أبو مخنف حيث لم يصل إلينا عنه من روايات سوي ما أورده الطبري في تاريخه الكبير.

وأبو مخنف من الكتاب العلويين الذين عرف عنهم تشيعهم الشديد إلي آل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقد استطاع في فترة مبكرة أن يدون تاريخاً وافياً كان زاداً للطبري في تاريخ الرسل والملوك.

ولما كان أبو مخنلف من كتاب العلويين كان علي المؤرخ أن يتناول مادته العلمية بكثير من الحذر، ويطبق عليها كثيراً من الضوابط حتي يجنب نفسه أي زلل قد تحمله هذه الرواية أو تلك.

وعلي أية حال فإن القرن الثالث الهجري شهد نهضة مميزة في التدوين عند

العرب لكننا يجب أن نؤكد أن بداية التدوين تعود إلي العصر الإسلامي الأول، وهذا يأتي للرد علي من يحاول أن يجعل بداية التدوين الحقيقية ترتبط بالعصر العباسي، ليعود بذلك الفضل في نشأة التدوين إلي غير العرب.

إن هذه القضية توضح كيف كان لعلماء الحديث اليد الطولي في تأصيل الأسس التي سار عليها التدوين في العصر الإسلامي الأول، وكيف تطور فيما بعد علي أيدي العلماء المسلمين حتي أن المؤرخين الأول ساروا علي منهج مدرسة الحديث في تدوين التاريخ، واستخدموا منهج المحدثين في تدوين الرواية التاريخية وبهذا يستطيع المؤرخ أن يؤكد أن العرب قد قاموا بدور هام وأساسي في وضع أسس الكتابة عموماً والكتابة التاريخية علي وجه الخصوص.

والكتابة التاريخية قد اتخذت أسماء واصطلاحات كثيرة، فقد صنفها الباحثون المتخصصون تحت أبواب التاريخ العام، والتاريخ الخاص، ،والسير والتراجم، وكتب الرحلات، وكتب الوفيات، ومعاجم البلدان، والرسائل المتخصصة، والموسوعات الشاملة، وكتب النظم، وكتب الأموال والقانون والخراج.

وهذة الأصناف تتداخل في كثير من الأحيان، وتتميز في أحيان أخري لكنها جميعاً تدخل في إطار الكتابة التاريخية أو التدوين التاريخي ومع ذلك فيمكن للمؤرخ أن يتناول كل صنف علي حدة أو يتناولها جميعاً عند دراسة موضوع من الموضوعات، لكن هذه المصنفات تقف شاهداً علي تنوع الكتابة التاريخية وتطورها عبر العصور المختلفة.

وقد شهدت الكتابة التاريخية أوج تطورها في العصر العباسي حيث أصبح المؤرخ المسلم يخصص في كتاباته ما يعد تاريخاً صرفاً، وتنافس المؤرخون المسلمون فيما قدموا من مؤلفات ضخمة في التاريخ، ويلمس المؤرخ الحديث مدي التنافس الذي كان بين مؤرخي تلك الفترة مما أثري ولا شك الكتابة التاريخية.

وأما ما قدمه هؤلاء المؤرخين من أعمال عظيمة في التاريخ يقف المؤرخ الحديث من خلالها علي تطور الأحداث ونتائجها مع المادة التاريخية الأصلية

والمعلومات الأوليه لشهود لعيان أو غيرهم مما يمكنه من كتابة تاريخ أي فترة زمنية بشكل موثق يعين علي معرفة الحقيقة في تلك الفترة.

## علم التاريخ عند المسلمين:

لا يمكن للمؤرخ أن يضع بداية واضحة المعالم محددة الملامح لظهور علم التاريخ ذلك أن الاجتهادات كثيرة حول هذه القضية والآراء متعددة تجاهها.

ويذهب البعض إلي أن ظهور علم التاريخ يرتبط بالعصر الحديث حيث اكتملت معالمه واتضحت أصوله وأصبح علماً بمعني الكلمة شأنه شأن كافة العلوم الأخري.

بينما يذهب البعض الآخر إلي أن علم التاريخ يضرب بجذورة إلي أزمنه بعيدة ترتبط ببداية ظهور الكتابة وارتقاء المجتمع الإنساني واستقراره مكوناً بذلك أول نظام سياسي علي سطح الأرض..

وكما اختلف حول بداية ظهور علم التاريخ فقد تعددت الآراء ووجهات النظر حول مفهومة وما هيته وموضوعه.

وقد حسم العلماء المسلمون هذه القضية في مؤلفاتهم الخاصة بهذا الموضوع فيقول الشمس السخاوي في تعريفة للتاريخ من حيث الاصطلاح: «وفي الاصطلاح هو التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة، ووفاة وصحه عقل وبدن ورحلة وحج وضبط وتوثيق وتجريح وما أشبه هذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة من ظهور ملمة وتجديد فرض وخليفة ووزير وغزوة وملحمة وحرب وفتح بلد وانتزاعة من متغلب عليه وانتقال دولة وربما يتوسع فيه لبدء الخلق وقصص الأنبياء وغير ذلك من أمور الأمم الماضية وأحوال القيامة

ومقدماتها». (١)

ويستطرد السخاوي فيقول: أما موضوعه فالإنسان والزمان، وأما فائدته فمعرفة الأمور علي وجهها، ومن أجل فوائده أنه أحد الطرق التي يعلم بها النسخ في أحد الخبرين المتعارضين المتعذر الجمع بينهما .

وهكذا بين السخاوي تعريف التاريخ من حيث الاصطلاح ووضح موضوعه وفوائده وهو بهذا يضع المؤرخ علي الطريق السليم في الوقوف علي ماهيه التاريخ وكنهه ومجالاته واهتماماته وموضوعاته وفوائده.

وليس السخاوي وحده هو الذي ذهب هذا المذهب فقد سبقه إلي الحديث عن أهمية علم التاريخ أو أهمية التاريخ وفوائده غيره من المؤرخين فقد ذكر ابن الأثير: ولقد رأيت جماعة ممن يدعي المعرفة والدراية، ويظن بنفسه التبحر في العلم والرواية يحتقر التواريخ ويزدريها، ويعرض عنها ظناً منه أن غاية فائدتها القصص والأخبار ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار، وهذه حال من اقتصر علي القشر دون اللب نظره وأصبح مخشلباً جوهره (٢)، ومن رزقه الله طبعاً سليماً وهداه صراطا مستقيماً علم أن فوائده كثيرة ومنافعه الدنيوية والأخروية جمة غزيرة، وها نحن نذكر شيئاً مما ظهر فيها ونكل إلي قريحة الناظر فيه معرفة باقيها.

فأما فوائده الدنيوية فمنها إن الإنسان لا يخفي يحب البقاء ويؤثر أن يكون في زمرة الأحياء، فياليت شعري! أي فرق بين ما رآه أمس أو سمعه وبين ما قرأه في الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين؟ فإذا طالعها فكأنه عاصرهم، وإذا علمها فكأنه حاضرهم» (٣)

ويضيف ابن الأثير ما مفاده: أن الملوك ومن إليهم الأمر والنهي إذا اطلعوا علي تجارب الماضي وأحداثه أفادوا منها واستقبحوا الأشياء التي أساءت للبلاد والعباد

---

(١) السخاوي : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ . ص ٧

(٢) المخشلب: خرز يتخذ منه حلي

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ١، ص ص ٦، ٧.

واستحسنوا السيرة الحسنة للحكام والولاة العادلين فرغبوا فيها وخلصوا به واستعادوا نفائس المدن وعظيم الممالك.

«وأما الفوائد الأخروية فمنها: أن العاقل اللبيب إذا تفكر فيها ورأي تقلب الدنيا بأهلها، وتتابع نكباتها علي أعيان قاطنيها وأنها سلبت نفوسهم وذخائرهم وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم فلم تبق علي جليل ولا حقير، ولم يسلم من نكدها غني ولا فقير زهد عنها وأقبل علي التزود للآخرة منها . . . ومنها التخلق بالصبر والتأسي وهما من محاسن الأخلاق فإن العاقل إذا رأي مصاب الدنيا لم يسلم منها بني مكرم ولا ملك معظم بل ولا أحد من البشر علم أنه يصيبه ما أصابهم وينوبه ما نابهم». (١)

ويتحدث العماد الكاتب الأصفهاني عن فوائد التاريخ فيقول: «ولولا التاريخ لضاعت مساعي أهل السياسات الفاضلة، ولم تكن المدائح بينهم وبين المذام هي الفاصلة، ولقل الاعتبار بمسالمة العواقب وعقوبتها وجهل ما وراء صعوبة الأيام من سهولتها وما وراء سهولتها من صعوبتها. (٢)

## التاريخ الهجرى:

يبدأ التاريخ الهجري بهجرة رسول الله ﷺ من مكه إلي المدينة، وكانت هذه النقلة التاريخية الهامة نقطه تحول في تاريخ المسلمين ومن ثم اتخذها المسلمون بداية لتاريخهم وكان العام الأول للهجرة الموافق العام ٦٢٢م بداية التاريخ الإسلامي.

وتناول المؤرخون المسلمون هذه البداية التي تحدد التاريخ الإسلامي فيذكر محمد بن جرير الطبري ذلك في أحداث العام السابع عشر للهجرة النبوية الشريفة يقول: فيها كتب التاريخ في شهر ربيع الأول، ويضيف الطبري نقلا عن رواية ابن أبي سبرة عن عثمان بن الله بن أبي رافع عن ابن المسيب قال: أول من كتب

---

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ- حـ١، ص ٨

(١) العماد الكاتب الأصفهاني: الفتح القدسي . ص٤٤.

التاريخ عمر لسنتين ونصف من خلافته فكتب لست عشرة من الهجرة بمشورة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. (١)

وفي رواية أخري عن سعيد بن المسيب يقول: جمع عمر الناس فسألهم أي يوم نكتب؟ فقال علي: من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرض الشرك ففعله عمر.

ويقول ابن الأثير: قيل لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أمر بعمل التاريخ والصحيح أن عمر بن الخطاب هو الذي أمر بوضع التاريخ.

ويوضح ابن الأثير سبب ذلك فيقول: وسبب ذلك أن أبا موسي الأشعري كتب إلي عمر: إنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ. فجمع عمر الناس للمشورة فقال بعضهم: أرخ لمبعث النبي ﷺ، وقال بعضهم لمهاجرة رسول الله ﷺ فقال عمر: بل نؤرخ لهاجرتة فإن مهاجرته فرق بين الحق والباطل، وهذه رواية الشعبي كما يوردها ابن الأثير. (٢)

وفي رواية أخري يذكر ابن الأثير أنه رفع إلي عمر صك محله شعبان فقال: أي شعبان؟ أشعبان الذي هو آت أم شعبان الذي نحن فيه؟ ثم قال لأصحاب رسول الله ﷺ: ضعوا للناس شيئاً يعرفونه فقال بعضهم اكتبوا علي تاريخ الروم فإنهم يؤرخون من عهد ذي القرنين فقال هذا يطول فقال الفاروق: اكتبوا علي تاريخ الفرس فقيل إن الفرس، كلما قام ملك طرح تاريخ من كان قبله، فاجتمع رأيهم علي أن ينظروا كم أقام رسول الله بالمدينة فوجدوه عشر سنين فكتبوا التاريخ من بدء هجرة رسول الله ﷺ.

وفي رواية ثالثة يذكر ابن الأثير: أنه قدم علي عمر رضي الله عنه رجل فقال أرخوا فسأل الفارق ما معني ذلك؟ فقال شئ تفعله الأعاجم في شهر كذا من سنة كذا فقال الفاروق حسن، فأرخوا، فاتفقوا علي الهجرة ثم قالوا من أي الشهور؟

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك. جـ٤ ص ٣٨

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ. جـ ١، ص ١٠.

فقالوا: من رمضان ثم قالوا فالمحرم هو منصرف الناس من حجهم وهو شهر حرام فاجمعوا عليه.

ولم تقتصر الروايات التي أوردها ابن الأثير علي ذلك فهناك رواية لسعيد بن المسيب تقول: إن الفاروق عمر رضي الله عنه: جمع الناس وسألهم من أي يوم نكتب فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه: من مهاجرة رسول الله ﷺ وفراقة أرض الشرك ففعل ذلك عمر رضي الله عنه.(١)

وهكذا نري أن الفاروق رضي الله عنه هو الذي وضع التاريخ الهجري للمسلمين وذلك بعد أن استشار عدول المسلمين، ونزولاً علي آرائهم ورغبتهم وقد وافقت الأمة علي أن يكون مهاجر سول الله ﷺ من مكة إلي المدينة هو بداية لستهم الهجرية وهو أول ما يؤرخون به لحياتهم السياسية وقد ألغي هذا العمل ما سبقة فبعد ما كانت العرب تؤرخ بعام الفيل أصبحوا يؤرخون بهجرة رسول الله ﷺ من مكة إلي المدينة وذلك في عام سبع عشرة أو ثماني عشرة للهجرة.

ومن هنا كانت أهم نقطة تحول في التاريخ الإسلام والمسلمين وهي ما سنه الفاروق عمر رضي الله عنه من وضع بداية التاريخ الهجري للمسلمين في ذات الوقت نقطة الإنطلاق نحو قيام المدارس التاريخية المختلفة،تلك المدارس التي كان لها باع طويل في التدوين التاريخي والكتابة التاريخية،وتسجيل تاريخ المسلمين ووضع الأسس العلمية والمنهجية ليصبح التاريخ علماً له أصوله وقواعده.

---

١ ـ ابن الاثير : الكامل في التاريخ.جـ١ ص ١١